مرتكزات اقتصاد الجزائر العثمانية(ق 16...19م)

الباحث :خالد اوعيل إشراف :أ .د فله موساوي القشاعي
جامعة الجزائر -2-

مقدمة

تتنوع الدراسات التاريخية بحسب المجال الذي تتناوله و الأهداف المتوقع تحقيها من كل دراسة،فهناك التي تُعنى بالجانب العسكري، وأخرى تستهدف الجانب الاجتماعي، كما أن البعض منها يركز على المجال الاقتصادي، وبالتالي فمجال البحث التاريخي واسع ومتشعب ، فإلى جانب التخصص الموضوعي نجد التباين حسب الإطار الزماني والمكاني، أو ما يعرف بنطاق الدراسة بحد ذاتها، لهذه الأسباب ارتأيت أن يقتصر مجال هذا العمل على الشق الاقتصادي الاجتماعي لفترة من تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية، فكان موضوعه بعنوان "مرتكزات اقتصاد الجزائر العثمانية ".

لقد كانت الجزائر حتى بدايات القرن 16م عرضة للاعتداءات الأوربية عموما والاسبانية خصوصاً،ما جعلها تفقد العديد من موانئها غلى غرار جيجل، بجاية ووهران ...وذلك في غياب سلطة محلية قوية تستطيع الوقوف في وجه هذه الهجمات، وأمام هذا الضعف الذي طال مختلف مجالات الحياة،ومع بروز نجمي البحارة الإخوة بربروس،استغل الجزائريون الفرصة للحصول على دعم القوة الإسلامية، وبتسارع الحوادث تلتحق الجزائر بركب الدولة العثمانية، لتبدأ بذلك مرحلة جديدة في تاريخها تَعرفُ من خلالها عدة تحولات عسكرية،سياسية،واقتصادية، ومما لا شك فيه أنّ هذه المجالات مترابطة ببعضها البعض، ولها تأثير متبادل سلبًا وإيجابا، لذا ستعالِجُ إشكاليةُ الموضوع أهم المرتكزات التي اعتمد عليها الاقتصاد الجزائري في هذه الفترة ومدى تأثُره بمجريات الحوادث التي عرفتها البلاد،و كيف يمكن الاستفادة من نقاط قوة هذه المقومات في الفترة المعاصرة، ولتحديد أهم هذه النقاط وتصنيفها يتوجب علينا استقراء بعض ما توفر

لدينا من وثائق تتعلق بالمرحلة ومقارنتها ببعض الكتابات التي تناولت تاريخ الجزائر الحديثة ،ولمحاولة تحقيق ذلك اعتمدنا على التسلسل الزمني لتحديد المميزات الاقتصادية لكل مرحلة والعوامل التي تتحكم فيه.

أولا - الوضع العام للجزائر قبيل الوجود العثماني:

لقد أدى الضعف الذي لحق دولة الموحدين بالمغرب الإسلامي[1] إلى بروز ثلاث كيانات سياسية مختلفة هي:

1- الدولة الحفصية (1229-1541): وقد كان مركزها السياسي بتونس،وتمتد حدود سيطرتها من طرابلس الغرب إلى شرق الجزائر.

2 – الدولة الزيانية (1236-1530م): وكان مقرها ومجال نفوذها بالمغرب الأوسط[2] .

3- الدولة المرينية (1196-1554م) امتد مجال نفوذها بالمغرب الأقصى وجزء من المغرب الأوسط إلا أنها فقدت سيطرتها عنه عام 1393م[3].

إن تفتت بلاد المغرب وانقسامها بعد سقوط دولة الموحدين إلى ثلاث دول أدى إلى ضعفه وانحلاله؛ الأمر الذي سهل غزوه من قبل القوى الخارجية ،خصوصا في ظل الانقسامات الداخلية التي طالت هذه الدول مع بروز العديد من الإمارات،واستقلال بعض القبائل عن سلطة هذه الأخيرة، هذا حال عموم بلاد المغرب الإسلامي، أما الجزائر فكان وضع بني زيان فيها،وبحكم موقعها الجغرافي بين نارَين،تارة تحارب بني حفص وتارة أخرى تحارب بني مرين،وعلاوةً على هذه العوامل كلها طرأ عامل آخر ،وهو كارثة الأندلس عقب سقوط غرناطة،حيث لجأ سيل عرمرم من المهاجرين الأندلسيين الذين حذروا السكان من الخطر الاسباني وأطلعوهم على

[1]-_للمزيد حول سقوط دولة الموحدين،يُنظر،صديقي عب الجبار،سقوط دولة الموحدين،دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات،رسالة ماجستير،غير منشورة،جامعة تلمسان،2013-2014.

[2]-للمزيد حول الدولة الزيانية ،يُنظر ،مبارك الميلي،ج2،ص439...488

[3]مبارك الميلي،نفسه،ص ص490..439

جرائمه[1]وعن نيتهم في طرد سكان المغرب من المسلمين وتعويضهم بالمسيحيين ،إلا أنّ ذلك لم يغير في الأمر شيئا،فالأسبان قدموا إلى السواحل الجزائرية ولم تواجههم مقاومة تُذكر عند احتلالهم للشواطئ الجزائرية؛بل إن بعض أمراء تلمسان من بني زيان تسابقوا للاتصال بهم وعرضوا عليهم خدماتهم،وعلى النقيض من ذلك نذر بعض العلماء أنفسهم لتوعية السكان وتحسيسهم بالخطر القادم من البحر، وقاموا بدعوتهم لإحياء الرباط من اجل الدفاع عن النفس على غرار ما قام به الشيخ" محمد التواتي[2]"،وقد صادف هذه الفترة تواجد الإخوة بربروس الذين كانوا يجوبون البحر المتوسط فينقلون أعداداً من الأندلسيين إلى سواحل البلاد الإسلامية،كما كانوا يتصلون ببعض الشخصيات الدينية عند نزولهم إلى الشواطئ، ومن بين من اتصل بهم الشيخ"احمد بن يوسف الراشدي"[3]،وتسارعت الحوادث لينتقل عمل هؤلاء الأتراك من نقل الأندلسيين إلى محاولة افتكاك بعض السواحل التي وقعت تحت سيطرة الأسبان والجنويين، حيث تمكنوا من بجاية سنة1510م،وجيجل1514م[4]، ثم باقي سواحل الجزائر تدريجيا، وبعد جهود كبيرة استطاعت الجزائر أن تنضوي تحت لواء الخلافة العثمانية، وقد ساهمت الظروف الداخلية التي شهدتها البلاد في جعل السكان يتصلون بالسلطان العثماني (سليم) ويطلبون منه التدخل من اجل إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية عن طريق رسالة[5] وجهت إليه تشرح له أوضاع البلاد والعباد ، وتطلب منه العون وتعيين (خير الدين بربروس) أميرا للبلاد وخادما للسلطان، وعند تفحصنا لهذه الرسالة نستطيع

[1]كليل صالح،سياسة خير الدين لمواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الأوسط،رسالة ماجستير غير منشورة،قسم التاريخ،جامعة العقيد الحاج لخصر، باتنة ،2007/2006،ص3.

[2]- احمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي،الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني،تح الشيخ المهدي البوعبدلي،عالم المعرفة للنشر والتوزيع،وزارة المجاهدين،الجزائر،2012،ص17.

[3]-الثغر الجماني، ص18.

[4]- محمد لعباسي،أعمال خير الدين العسكرية من خلال مخطوط خبر قدوم عروج رايس الى الجزائر،رسالة ماجستير(غير منشور)،جامعة وهران قسم الحضارة الإسلامية،2006/2005،ص ص 23،24.

[5]- عبد الجليل التميمي،اول رسالة من أهالي الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة1519م،المجلة التاريخية المغربية،العدد6،تونس، ص ص116...120.

اعتبارها أول وثيقة أرشيفية تمكننا من الوقوف على بعض المؤشرات التي ميزت هذه المرحلة في مختلف النواحي:

غياب سلطة محلية قوية تدير شؤون البلاد، ما جعل الأهالي يراسلون الباب العالي.

العديد من السواحل تمت السيطرة عليها من قبل القوات الاسبانية.

وجود البلاد في حالة من الضعف، جعلت السكان يخضعون لشروط الهدنة المفروضة عليهم من طرف الأسبان.

تسارع الحوادث وبروز العنصر التركي ممثلا في الإخوة (بربروس)كطرف ثالث .

تغير موازين القوى وبداية المواجهة بين الاسبان والقوة المحلية الجديدة.

هذه بعض المؤشرات العامة التي يمكن استنباطها من خلال هذه الرسالة، وتستمر التطورات بتعيين (البلرباي خير الدين) أميرا للجزائر[1]،الذي يشرع في استكمال مهامه بعد أن اتخذ من القصبة مقرا لحكمه وتشكيل ثلاث سلطات تشرف على تسيير شؤون مدينة الجزائر في بدايات الأمر؛ وهي السلطة المدنية،والقضائية،والتنفيذية[2]، وكان من بين مهام هذه السلطات ضبط الأمن وتوفير ما ينفع المدينة التي ستبلغ أوج مجدها في ظل الدولة العثمانية[3].

بعدما تطرقنا إلى الظروف العامة المحلية قبل إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، وقبل تناولنا التطورات التي شهدتها البلاد لاحقا، نحاول تحديد أهم السمات الاقتصادية التي ميزت مرحلة الغزو الاسباني للسواحل الجزائرية و التي يمكن تلخيصها فيما يلي:

[1]- للمزيد يُنظر ،خير الدين بربروس،مذكرات،ترجمة محمد دراج ،ط1،أصالة للنشر والتوزيع،الجزائر،2010،ص ص15،14.

[2]- حمدان بن عثمان خوجة،المرآة،تعريب محمد العربي الزبيري،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1982،ص109.

[3]- العربي ايشبودان،مدينة الجزائر تاريخ عاصمة،القصبة للنشر، ترجمة جناح مسعود،الجزائر،2007،ص24.

ضعف اقتصاد الدولة نتيجة سيطرة الإسبان على موانئها[1].

تراجع موارد الخزينة الزيانية[2]

فرض المزيد من الضرائب على السكان لتغطية متطلبات الحرب .

سيطرة الإسبان على الموانئ أدى إلى شلل في النشاط التجاري البحري الخارجي[3].

تعرض التجار المحليين إلى معاملة قاسية مما يدفعهم إلى دفع الرشاوى للحكام الإسبان على غرار حاكم وهران والمرسى الكبير[4].

تعرض القوافل التجارية إلى الغارات بسبب عدم وجود سلطة قوية تؤمن الطرق،على غرار ما وقع في غرب البلاد حيث شهدت القوافل غارات الاسبانيين والقبائل الموالية لهم[5].

تعرض القوة البشرية الجزائرية إلى الاستنزاف نتيجة المواجهة مع الإسبان؛ فعلى سبيل المثال بلغ عدد القتلى في عام1509م ،خلال الحملة على وهران 4000قتيلا،وعدد الأسرى 8000 أسيرا،وفي سنة1510م وخلال هجوم الإسبان على بجاية فقدت الجزائر4000 قتيلا من سكان بجاية[6] .

تعرض المتعاملين الاقتصاديين"تجار ومزارعين" إلى إرهاق ضريبي بموجب مرسوم وقعه الملك"فرديناند" سنة1511،يلزمهم بدفع 50٪ من قيمة وارداتهم من الصوف[7] .

---

[1]-حساني مختار،دراسة تاريخية لقلعة بني راشد،المجلة المغاربية للمخطوطات،العدد3،الجزائر2013،ص229.

[2]- حساني مختار،نفسه،ص229.

[3]- أبو زيد عبد الرحمان الجامعي، تحرير مدينة وهران، مخطوط، تحقيق حساني مختار، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر، ملحقة بوزريعة،2003،ص18.

[4]- الجامعي، نفسه، ص نفسها.

[5]- الجامعي، نفسه، ص نفسها.

[6]- رحلة الشيخ عبد الرحمان بن إدريس التنيلاتي،مخطوط،تحقيق خير الدين شترة،كردادة للنشروالتوزيع،الجزائر،2015،ص96.

[7]- التنيلاني، نفسه، ص 97.

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

تعرض أموال الجزائريين إلى السلب نتيجة الهجمات الاسبانية،فقد سلب الغزاة في وهران وحدها ما يقدر بالملايين ،ودفع جزية قدرت ب12000دوقةنو12فرصاً،و6طيورمن فصيلة "الباز" الجارحة[1].

كانت هذه أهم مميزات اقتصاد الجزائر قبل الوجود العثماني ،وفي ما يلي سنحاول تحديد مميزات اقتصاد المرحلة الجديدة.

ثانيا – الاقتصاد الجزائري في ظل حكومة الأتراك العثمانيين

شهدت الجزائر في مطلع القرن 16م تطورات هامة بعد ظهور الإخوة بربا روس على مسرح الحوادث في البحر الأبيض المتوسط ووصولهم إلى السواحل الجزائرية وتمكنهم من مساعدة الجزائريين في استرجاع جل الموانئ التي سبق احتلاها من قبل الإسبان ،وقد سبق الإشارة إلى حيثيات ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية وبداية مرحلة جديدة من تاريخها،هذه الأخيرة التي استمرت إلى غاية 1830م،وهو تاريخ الحملة الفرنسية على الجزائر ونهاية ما يعرف بفترة الوجود العثماني بالجزائر.

بالعودة إلى تاريخ هده المرحلة نجد أن غالبية المؤرخين يحددون أربع محطات محورية لتطور الوجود العثماني في الجزائر من الناحية السياسية ألا وهي:

* عهد البايربايات(1518-1587م).
*عهد الباشوات(1587-1659م).
*عهد الأغاوات(1659-1671م).
*عهد الدايات(1671-1830م)[2].

لكل عهد من هذه العهود السياسية خصوصيته وميزاته،كما أن لكل منها ايجابياته وسلبياته،ولسنا هنا بصدد تحليل النظام السياسي الذي اتبعه العثمانيون من خلال حكومتهم في الجزائر،لذا سيكون تركزينا على ارتباط تدخل النظام وتأثير

[1]- التنيلاني، نفسه، ص 95.

[2]- للمزيد ،يُنظر صالح فركوس،تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى الاستقلال،العلوم للنشر والتوزيع،الجزائر،2005،ص ص106..140.

سياساته في عموم المرحلة على الناحية الاقتصادية للبلاد أولا،والناحية الاجتماعية ثانيا ؛وذلك لعدم إمكانية فصل الاقتصاد عن المجتمع ،فالأول يصنع الثاني ،والثاني يخدم الأول.

ولكي نتمكن من تحديد ملامح اقتصاد الجزائر الحديثة يتوجب علينا معرفة أهم الآليات التي اتبعتها الحكومة المحلية في إدارة وتسيير البلاد ،فمن الناحية السياسية بالإضافة إلى الحكومة المركزية بدار السلطان،السلطات الثلاث التي سبق ذكرها،أُعتمد نظام المشيخة ،الذي منحت له صلاحيات جمع الضرائب وحفظ الأمن [1] ،وتم إنشاء مصلحة للجمارك،كما تم تبني أنظمة إدارية وعسكرية جديدة أدت إلى ضمان الوحدة السياسية للإيالة[2]،ففي الجانب الإداري تم تقسيم البلاد إلى مقاطعات :

1-**الجزائر**:وتعرف بدار السلطان وتمتد من (دلس) شرقا إلى (شرشال) غربا،ومن ساحل البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى سفوح الأطلس البُليدي جنوباً.

2-**بايلك الشرق**:عاصمته قسنطينة،ويمتد من البحر شمالاً إلى ما وراء بسكرة وواد سوف جنوباً ومن الحدود التونسية شرقاً إلى ما وراء إقليم ونوغة وبرج حمزة(البويرة حاليا) وسفوح جرجرة غرباً[3]

3- **بايلك الغرب**:و يعرف بالقطاع الوهراني تغيرت عاصمته عدة مرات حتى تحرير وهران ،وهو يمتد عموما من واد الملوية (الملكة المغربية)غربا إلى واد الشلف شرقا (حدود بايلك التيطري ودار السلطان)،ومن البحر شمالا إلى الصحراء جنوبا[4].

4- **بايلك التيطري**:أصغر بايلكات البلاد من حيث المساحة،وأول بايلك ظهر إلى الوجود بعد دار السلطان،يمتد من سهل المتيجة شمالاً،ومن الشرق وطن بني سليمان،وبني جعد،وعريب،وقيادة سباو،وحمزة[1] .

---

[1]-المرآة،مرجع سابق ،ص109.

[2]-حنيفي هلايلي،اوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني،ط1،دار الهدى،الجزائر،2008،ص126.

[3]- محمد الصالح بن العنتري،فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانهما،تقديم يحي بوعزيز،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1991،ص17.

[4]-الوليش فتيحة،الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرنم18،رسالة ماجستير(غير منشورة)،جامعة الجزائر،1993-1994،ص16.

وتسند إدارة وحُكم كل إقليم منها إلى "الياي"باعتباره المسؤول الأول عن إدارة البايلك ،يساعده في ذلك أجهزة الإدارة المحلية وهي مقسمة إلى:

إدارة دار الباي:وعلى رأسها باي الإقليم الذي يتم تعيينه وفق شروط معينة تغيرت مع مرور الوقت،كما تغير رتبة الباي ،وكل باي يؤم دار السلطان ويقدم خبرا عن إدارته وقدم فائض المدخولات ،وهو مسؤول عن إدارته وعن الحدود[2]،كما يساعده في تسيير الشؤون الإدارية مجموعة من الأعوان مقسمين إلى قسمين:

الأعوان- الأساسيين وهم:الخليفة،الخزناجي،شيخ البلد،أغا الدواوير،الباش كاتب،الباش مكاحلي،الباش سراج،الباش سيار[3]،ومقر عمل هؤلاء الموظفين هو مقر البايلك.

-**الأعوان الثانويين:**منهم قائد السوق،قائد الباب،قائد الزبل،قائد القصبة،ووكيل بيت المال...

* **إدارة مدن البايلك:**نظراً لأهمية المدن يقوم الداي بتعيين قائداً على رأس كل مدينة،وكان القائد يتلقى الأوامر من الداي مباشرة ،ومهمة القائد تتركز أساساً في الإشراف على استخلاص الضرائب والرسوم داخل المدن،وضبط الأمن فيها، وتنظيم الأعمال الإدارية، يساعده في ذلك الكاهية، والمزوار، وآمين العيون، والمحتسب، وكان القائد مدعوما بحامية عسكرية[4].

* **إدارة الأرياف:**تم تقسيم البايلك إلى أوطان تتشكل من مجموعة من القبائل والأعراش ،الدواوير،تم تعيين قائد على رأس الوطن أو مجموعة من الأوطان في حين يدير القبيلة أو العرش شيخ القبيلة،وقائد الوطن يدير القبائل عن طريق

---

[1]-احمد الشريف الزهار،مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر،تعليق وتقديم احمد توفيق المدني،ش و ن ت ،الجزائر،1974 ص ص47...49.

[2]- حمدان بن عثمان خوجة،مرجع سابق،ص138.

[3]-ارزقي شويتام،المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني،ط1،دار الكتاب العربي،الجزائر،2009،ص50.

[4]- ارزقي شويتام،نفسه،ص52.

شيوخها[1]،وكان هؤلاء يُختارون من بين الأُسر الغنية ،والدنيا،التي كانت تتمتع بتأثير في وسط الأهالي[2]،ولعل العثمانيين قد حافظوا على التنظيم القبلي القائم مع إدخال بعض التعديلات خدمةً للسلطة المركزية في دار السلطان ،وفي البياليك ووفق متطلبات المرحلة،ولسنا هنا بقصد تحليل التنظيم الإداري المتبع وإنما لمعرفة الأجهزة التي لها علاقة بالنشاط الاقتصادي،وكيفية تأثيرها في توجه المؤشرات الاقتصادية سلبا وإيجابًا،من هذا المنطلق يتعين علينا وضع تصنيف للمؤشرات المتوقع الوصول إليها من خلال تحليل بعض المعطيات الواردة في الوثائق المتوفرة لدينا والمرتبطة بفترة الوجود العثماني بالجزائر وذلك وفق المستويات الآتية:

أ-المستوى الديمغرافي(البشري):

الإنسان هو الفاعل الرئيسي في المجال الاقتصادي،فهو المخطط ،وهو المنتج،وهو المستهلك،بعبارة أخرى هو المحرك لدولاب الاقتصاد في أي بلد،وفي جميع الأنشطة المرتبطة به،سواء الفلاحية ،أو الحرفية،أو التجارية،لذا يتوجب علينا الأخذ في الحسبان عند إجراء أي دراسة متخصصة تحديد أهمية المورد البشري،من حيث التعداد،التوزيع الجغرافي،نوعية النشاط الممارس،التركيبة الاجتماعية،والظروف المؤثرة على أدائه،كالاستقرار،السلامة الصحية،الحروب...

تشير الإحصائيات التي تناولت تاريخ الجزائر الحديث إلى أن عدد سكانها بلغ عشرة ملاين في نهاية الوجود العثماني[3]،قد يكون هذا الإحصاء الذي قدمه حمدان خوجة[4]،غير دقيق لعدم و جود إحصاء رسمي،وكذا عدم تركز السكان في مناطق مختلفة،ناهيك عن الأوضاع الصحية التي مرت بها البلاد في بعض الفترات،كما أن المدة الزمنية موضوع الدراسة طويلة نوعا ما.

[1]- ارزقي شويتام،نفسه،ص53.

[2]-- ارزقي شويتام،نفسه،ص56

[3]-- خديجة دوبالي،العلاقات الاجتماعية بين الرعية والسلطة في بايلك التيطري أواخر العهد العثماني من خلال الوثائق،مجلة الحوار المتوسطي ،العدد ،3-4،د ت ،ص11.

[4]-- المرآة،مصدر سابق،ص50.

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

إن توزع السكان بين الريف والمدن جعل من الصعوبة ضبط إحصاء سكاني دقيق نتيجة للعوامل السالفة الذكر،يضاف إليها شساعة البلاد ووجود بعض القبائل التي كانت بعيدة عن التمدد العثماني في الايالة،إلا أن هذا لم يمنع من تقديم بعض الأرقام يمكن اتخاذها كمؤشرات على تمركز السكان وتنوعهم.

المدن	إحصاء جوشروJUCHEREAU قبل القرن18 ------- عام1830		إحصاء روزيROZET قبل 1830	ملاحظة
الجزائر	75000	35000	30000	فرق - 5000
وهران	15000	6000	من5الى6000	غير دقيق
البليدة	10000	2000	من6الى7000	5000-
قسنطينة	35000	15000	15000	=
المدية	8000	4000	من6الى7000	2000-
تلمسان	25000	8000	**	تراجع كبير
بجاية	3500	800	**	-تراجع كبير
مستغانم	3500	1200	**	تراجع كبير
معسكر	6000	2450	**	تراجع كبير
عنابة	6000	2000	**	تراجع كبير

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

جدول 01-إحصائي لسكان بعض المدن في فترة الوجود العثماني بالجزائر-المصدر - شويتام،نفسه،بتصرف

تعليق: إذا سلمنا بدقة هذه الإحصائيات وهو أمر مستبعد،فإننا نسجل تناقض واضح وهو ما يؤكد الطرح المشار إليه والقاضي بعدم دقة هذه المعطيات الغربية،كما أن هذه الأرقام تؤكد تراجع تعداد سكان المدن أواخر فترة الدراسة .

تفسير: قد يعود سبب تراجع سكان المدن إلى موجة الأوبئة التي عرفتها البلاد وكذا الزلازل المدمرة،فمدينة البليدة فقدت 12000شخص اثر وباء1793،وفي نفس السنة فقدت قسنطينة بفعل نفس الوباء ما يقارب80الى 100شخص يوميا،وفقدت مدينة الجزائر بفعل وباء1796ما يقارب48شخص يوميا،لتزداد خطورة الوباء سنة1797بيصل عدد الضحايا إلى 500شخص يوميا في مدينة الجزائر[1].

انطلاقا من الملاحظات المقدمة حول هذه الإحصائية يمكننا أن نستنتج أول مؤشر مرتبط بالتطور الديمغرافي للجزائر.

المؤشر الأول:-النمو الديمغرافي-

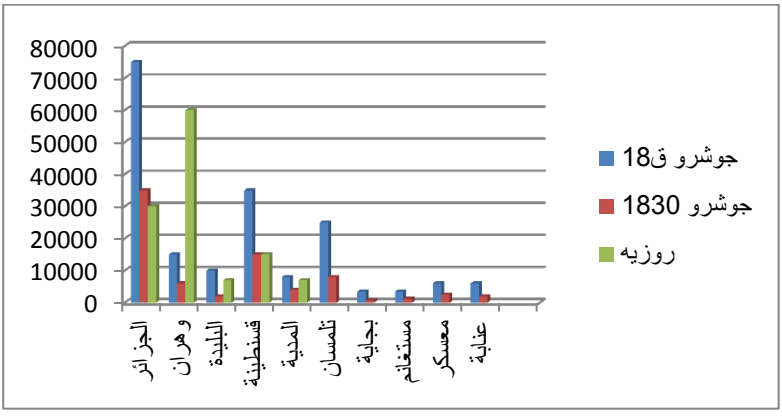

مخطط بياني-01-توزيع السكان حسب المدن والزمن.-الباحث.

[1]- فلة موساوي القشاعي،الواقع الصحي والسكاني في الجزائر،اثناء العهد العثماني،وزارة الثقافة،الجزائر،د ت،ص ص129...131.

تناقص نسبة النمو السكاني بالجزائر أواخر العهد العثماني لتتراوح نسبة النمو ما بين-22٪ الى50٪

*أعلى المستويات كانت في القرن18م، وتراجعت في القرن19.

المؤشر الثاني- التنوع البشري-

لتحديد كيفية توزيع السكان حسب المناطق وحسب أصولهم لا ضير أن نرجع إلى بعض الإحصائيات التي تقدمها الوثائق الأرشيفية وتقارير الجواسيس الفرنسيين .

السكان	عرب المدن	عرب القبائل	عرب أجانب	يهود	أجانب	المجموع
تعدادهم	358760	2374091	32288	28097	80517	28737753

جدول2-توزيع السكان[1] حسب الأصول-ق 18م-الباحث

السكان	بربر	عرب القبائل	عرب مستقلين	يهود	أتراك	كراغلة	المجموع
تعدادهم	200.000	1200.000	400.000	30.000	20.000	20.000	870.000

جدول3-توزيع السكان حسب تقرير الجيش الفرنسي[2]

***تعليق**:التقرير مقدم من طرف الجاسوس "بوتان"،يقدم إحصاء تقديري لسكان الجزائر مطلع القرن19م ونهاية ق18م،وهو يحتاج إلى تدقيق إذا ما قورن بالتعداد الإجمالي المقدم من طرف"تيسي"(TESSIER) الذي يقدرهم بحوالي ثلاثة ملايين في حين لا يقل الرقم المقدم من طرف بوتان عن 2مليون،والفارق واضح في تحديد عدد سكان القبائل بين التقريرين.

***تفسير** :شساعة البلاد وعدم تحديد حدودها الجنوبية بدقة،وتنوع وتوزيع القبائل وحركة الترحال تُصعب على الجواسيس إعداد تقارير مضبوطة حول السكان.

المناطق	الناحية	عرب	أتراك	بربر	يهود	زنوج	عرب	المجموع

[1] -Octave Tessier,ALGERIE.hachette et cé.marseille.1865.p24.

[2] -Aperçu historique et topographique sur l'état d'Alger à lusage de léarmée expéditionnaire d'afrique.3 édition.paris.1830.p148.

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

		الحضر		ميزابيين		بدو	
دار السلطان	الجزائر	4.500	3.000	5.000	10.000	3.500	1500	73.000
بايلك وهران	وهران	--	--	--	--	--	--	10.000
	مستغانم	--	--	--	--	--	--	4.000
	معسكر	--	--	--	--	--	--	2.000
	اخري	--	--	--	--	--	---	3.000
	المجموع	--	--	--	--	--	--	19.000
بايلك الشرق	قسنطينا	--	--	--	--	--	--	20.000
	عنابة	--	--	--	--	--	--	4.000
	بجاية	--	--	--	--	--	--	35.00
التيطري	تيطري	--	--	--	--	--	--	8.000

جدول4- نماذج عن توزيع السكان حسب المدن[1]

*<u>**تعليق**</u>:التوزيع السكاني المقدم يبين أن بايلك الشرق يشتمل على تعداد سكاني اكبر من الغرب ،كما ان التقرير يركز المدن الساحلية،وهذا لكون التقرير مقدم للجيش الفرنسي-أهداف إستراتيجية-تحضر للحملة الفرنسية على الجزائر.

*<u>**تفسير**</u>:إن ما يفسر تمركز السكان في الشرق أكثر منه في الغرب تؤكده الإحصائيات المقدمة من طرف"رين"(L.RINN)[2] والتي يتبين توزيع الجماعات السكانية وفق أقاليم الايالة والتي نوضحها وفق المخطط المبين أسفله:

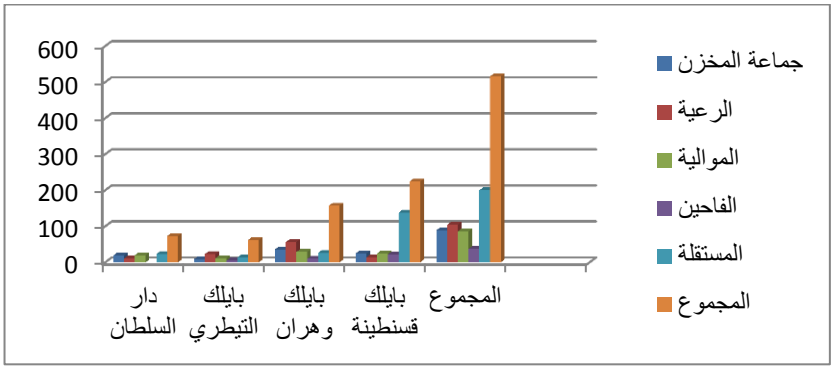

[1] - Aperçu historique et topographique .P149.

[2]-شويتام ارزقي،مرجع سابق،ص101.

مخطط بياني رقم2-توزيع الجماعات السكانية حسب الأقاليم-الباحث-

مؤشر2 من خلال دراستنا للمعطيات يمكننا استنتاج المؤشر التالي:

*تتركز الكتلة السكانية في بايلك الشرق،وهذا لشساعة الإقليم وكثرة القبائل.
*تمركز القوى الفلاحية في الشرق،يحدد طبيعة النشاط بالاقليم"الفلاحة".

ب-مستوى النشاط الممارس :

بعد أن تمكنا من استنباط بعض المؤشرات المتعلقة بالسكان نحاول في ما يلي تتبع مختلف الأنشطة الممارسة في الجزائر الحديثة واستخراج المؤشرات الاقتصادية المرتبطة بالنشاط البشري حسب الأقاليم.

1-المداخيل البحرية:

عرف النشاط البحري في الجزائر ازدهارًا كبيرا بداية من الدخول العثماني، وتركز أساسا على ما يعرف "بالقرصنة"أو " الجهاد البحري"، ومهما اختلفت تسمية هذا النشاط، فالدور الذي لعبته البحرية في تلك الفترة يبدو واضحاً ،خصوصا في الجانب الاقتصادي ،سواء المداخيل المحصلة من خلال افتداء الأسرى أو الهدايا الإجبارية المفروضة على السفن التي تعبر البحر الأبيض المتوسط ،وكذا الغنائم البحرية.

ا-الإتاوات: فرضت البحرية الجزائرية العديد من الإتاوات على الدول الأوربية نشير إلى بعضها

البلد المسدد	سنة الدفع	نوع الإتاوة	المصدر
اسبانيا	1804 1826	72مدفع –عيارات مختلفة 150.000فرنك-توقيع معهاهدة.	
توسكانيا	1823	250.000فرنك-كل عامين+هدايا.	
البرتغال	1822	200.000فرنك-توقيع معاهدة	
سردينيا	1816وما	54.000فرنك-إتاوة سنوية	

	قبلها		
فرنسا	1816 1821	200.000فرنك أكثر من 200.000فرنك بشكل هدايا	حنيفي هلايلي –بنية الجيش الجزائري[1]
انجلترا	1797 -1807 1816	4 مدافع+200برميل بارود+25صندوق سلاح+هدايا 267.500فرنك+مدافع وذخيرة	
هولندا	1711 1757 1797	8مدافع نحاسية+8مدافع حديدية+800بندقية+معدات وكمية بارود 125.000فرنك.-توقيع معاهدة. معدات بحرية(حبال+أشرعة)+300قطعة خشب+كمية من البارود.	
و م امريكية	1783 1796	100.000دولار سنويا 1000قنطاربارود+1000قطعة خشب لتجهيز السفن	

جدول5- نماذج عن الإتاوات المفروضة على بعض الدول -الباحث-

مؤشر3: ساهمت البحرية في رفع موارد البلاد المالية.ويعد القرن17م العصر الذهبي للنشاط البحري الذي تراجع اواخرق18م.

ب-الغنائم البحرية:عادة ما تتوج حركة السفن في عرض البحر بمواجهات تؤدي إلى هزيمة طرف أمام الأخر ما يجعل ممتلكات المهزوم غنيمة بحرية للمنتصر،وفي هذا الجدول بعض الغنائم التي حصلت عليها السفن الجزائرية :

السنوات	1793	1796	1800	1804	1810	1815
عدد الغنائم	3	8	19	9	0	8
قيمتها بالفرنك	135.2315.45	202.811.61	523.523.574.10	272.850.11	171.347.62	770.415.74

[1]-حنيفي هلايلي،بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني،ط1،دار الهدى،الجزائر،2007،ص ص72...76.

جدول6- نماذج عن الغنائم البحرية [1] -الباحث بتصرف-

مؤشر4: لعبت الغنائم البحرية دورا كبيرا في مداخيل البلاد إلا إنها تراجعت في الفترة الأخيرة؛حيث تراجعت مساهمتها في الاقتصاد من25.8٪سنة1799الى4.8٪في الفترة مابين1804-1810م.

ج-الأسرى:شهدت المواجهات بين الأسطول الجزائري والأوربي وقوع العديد من الأسرى بين الطرفين، الذي دفع بكل جهة إلى توفير الأموال من اجل افتداء أسراها لدى الطرف الأخر حيث تشير وثائق التشريفات إلى تطور عدد الأسرى المسيحيين لدى الجزائر على النحو التالي:

السنوات	1740-1736	1751-1741	1762-1752	1773-1763	1784-1774	1795-1785	1806-1796	1816-1807
العدد	3680	7471	13811	17930	16307	10001	9114	1458
المنحى		+	+	+	-	-	-	-

جدول7- تطور تعداد الأسرى الأوربيين لدي الجزائر[2]-الباحث بتصرف-

تعليق:نلاحظ أن تعداد الأسرى في تزايد باعتبار الفترة الأولى كفترة مرجعية،يستمر في الزيادة إلى غاية نهاية ق18حيث يبدأ في التراجع.

و لمعرفة موارد الخزينة من جراء عملية افتداء الأسرى يمكننا الاستعانة ببعض الأرقام التي قدمتها بعض الدراسات فقد تم افتداء الأسير الاسباني بما يتراوح بين1000الى12.000قرشا اسبانيا حسب مكانته الاجتماعية[3]،في حين افتدت فرنسا

[1]-حنيفي هلايلي ،نفسه،ص69.

[2]-ALBERT DEVOULX, TACHRIFAT, impremerie de gouvernement; Alger, 1852,pp131...134.

[3]- رحمونة بليل،دور العمل في اقتصاد إيالة الجزائر خلال القرن 18م،مجلة الحوار المتوسطي،ع 2،مارس 2010،ص24.

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

أسراها سنة1815م بمبلغ قدره51مليون فرنك ،في حين دفع البرتغال سنة1812م ما يقارب698237دولار مقابل تحرير615اسيراً[1].

مؤشر5: من خلال الوثائق والدراسات التي تناولت ملف الأسرى الأوربيين في الجزائر نرى بأن هذا التراجع في أعداد الأسرى إنما هو مؤشر واضح على ضعف الأسطول وبروز قوى منافسة،وربما ضعف رجال البحرية الجزائرية،خصوصا في نصف الربع الأول من القرن19م،وهذ ما تؤكده الوثائق حيث انخفض عدد الأسرى من 35.000سنة1619م[2]الى122سنة1830م.

مؤشر6:تراجع المداخيل البحرية المختلفة تسبب لخزينة الدولة في عجز مالي ، ما دفعها للبحث عن بدائل من اجل تعويض خسائرها الناجمة عن تناقص الموارد المالية البحرية .

2-**النشاط الحرفي والصناعي**:بعد تطرقنا إلى النشاط البحري وأهميته في الاقتصاد الجزائري الحديث ،نمر إلى نوع آخر من النشاط البشري ألا وهو الصناعة والحرف،فإلى جانب صناعة السفن والسلاح عرفت الجزائر الحديثة مجموعة من الحرف،والتي ساهمت في تنشيط الحياة الاجتماعية والاقتصادية للبلاد، فالدراسة التي قامت بها (عائشة غطاس) ومن خلال عملية مسح سجلات بيت المال التي قامت بها يمكننا استخراج عينة من الحرف التي انتشرت بالجزائر الحديثة[3]:

الحرفة	الحرارون	الحفافة	القهواجية	الحواتون	الدخاخنية
عدد الحرفين	22	21	18	16	12
الحرفة	الدباغة	الحياكة	الخياطة	البجاقجية-	البابوجية-

[1]-عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل1830م، دار الفكر الإسلامي، ط1، الجزائر، 1972،ص ص 289-290.

[2]-CRESTI FEDERICO, Alger à la période turque, observation et hypothèse sur sa population et sa structure sociale, revue de l'occident musulman et de la médetiranée,N44,1987.

[3]-عائشة غطاس،الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر،المكتبةالوطنية الجزائرية،2012،ص ص229...

ISSN : 2353-0472
EISSN : 2600-6405

				الشواشي-	احذية-
عدد الحرفين	**12**	**11**	**8**	**6**	**4**

جدول8- توزيع الحرف بمدينة الجزائر –الباحث بتصرف-

إلى جانب هذه الحرف نسجل صناعة الحلي او الصياغة،صناعة المفروشات،الملابس،البناء...

مؤشر7:انتشار الحرف ساهم في تمويل الخزينة من خلال دفع الضرائب وخلق فرص عمل، كما ساهم في تصدير بعض المنتوجات خصوصا الحريرية منها.

3-**النشاط ألفلاحي**:غالبية سكان الجزائر من أهل الريف يمتهنون الفلاحة ،مما أدى إلى تنوع المحاصيل الزراعية فعلى سبيل المثال بلغ مردود الهكتار من القمح ما بين8الى15قنطارا بنواحي مدينة الجزائر،و قد اعتنى الجزائريون بزراعة القمح لكونه المصدر الأول للمعيشة،يليه الشعير ،كما انتشرت تربية المواشي في مناطق مختلفة خصوصاً الهضاب العليا التي كانت مركزا لتربية الأغنام والجِمال[1]،ولسنا هنا بتقديم عرض حول الإنتاج ألفلاحي وإنما لمعرفة موقعه ضمن البنية الاقتصادية للبلاد،فالدراسات تشير إلى أن البلاد كانت تصدر العديد من المحاصيل على غرار القمح،كما ساهم الفلاحون في دفع الضرائب المفروضة عليهم.

3-**الضرائب**:تُعتبر الضرائب أهم مورد لجأت إليه السلطة بعد تراجع المداخيل البحرية،وقد تنوعت الضرائب وتعدد تسمياتها وقيمتها،إلا أنها كانت موردا هاما بالنسبة للخزينة خصوصا في الفترة الأخيرة للوجود العثماني بالجزائر،فعلى سبيل المثال بلغت ضرائب بايلك الغرب سنة 1822ما قيمته60.000دولار[2].وقُدرت ضرائب بايلك الشرق مطلع القرن18م بحوالي120.000ريال،في حين بلغت دنوش التيطري ب50.000ريال،وفي نفس الفترة بلغت دنوش دار السلطان 50.000ريال[3].

[1]--شويتام ،مرجع سابق ص ص311...313.

[2]-دحماني توفيق ،النظام الضريبي في بايلك الغرب ،أواخر العهد العثماني،رسالة ماجستير،جامعة الجزائر،2004/2003،ص108.

[3]-شويتام،مرجع سابق،ص228.

مؤشر7:الضرائب كانت بديل فعال لتعويض الخسائر الناجمة عن تراجع النشاط البحري.

4-**العملة والأسواق**:كانت حركة الأسواق الداخلية في الجزائر الحديثة نشطة ومراقبة من قبل السلطات وساهمت في الحركية الاقتصادية،كما تداولت بها أنواع مختلفة من العملة نعرضها في الجدول الاتي[1]:

العملة/قيمتها مقابل	فرنك فرنسي	دولار اسباني	التونسية	كوري سوداني
السلطاني /المحبوب	11	2.1	110	2200
ريال بوجه	3.3	0.63	33	726

جدول9- قيمة العملات الجزائرية –الباحث بتصرف-

مؤشر8:العملة رمز من رموز السيادة وقوتها من قوة اقتصاد الدولة

الخاتمة.

من خلال تتبعنا لبعض الدراسات المتخصصة واعتمادنا على بعض الوثائق تبين لنا أن الاقتصاد الجزائري في الفترة الحديثة مر بمرحلتين أساسيتين،كان اعتماد الحكومة في أولاها على مداخيل النشاط البحري بشكل كبير،إلا أن هذه المداخيل لم تستخدم في تطوير الاقتصاد المحلي وإنشاء ثروة دائمة وهذا ما لمسناه

[1]- لمحمد العربي الزبيري،التجارة الخارجية للشرق الجزائري،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1972،ص71.

من خلال المؤشرات التي توصلنا إليها،ليمُر إلى مرحلة ثانية نجم عنها تراجع كبير في المداخيل البحرية؛ مما جعل السلطة تبحث عن حل بديل ،فرفعت من الضرائب ورجعت إلى النشاط ألفلاحي ،إلا أن تدخل اليهود واحتكارهم لتجارة بعض المنتوجات تسبب في رفع أسعارها وخلق أزمة غذائية،كما أن بعض الجوائح وموجات الجراد سببت مشكلا بالنسبة للإنتاج ألفلاحي ،وأضرّت ببعض المحاصيل رغم ذلك يبدو أن السلطة نجحت في إيجاد بديل ولو مؤقت عن انهيار المداخيل البحرية،وهي تجربة يمكن الاستفادة منها في حل مثل هكذا أزمات حالية.